عناية المحدثين بألفاظ الحديث النبوي

(الحافظ ابن حجر نموذجا)

أ. يوسف عبد الرزاق عبد السلام العربي*

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بعض الجوانب الدلالية المتعلقة بالحديث النبوي، الذي يعد أحد أهم مصادر الاحتجاج عند اللغويين بعد القرآن الكريم، حيث نعرض لمنهج علماء الحديث في تعاملهم مع ألفاظ الحديث النبوي في مظهرها الشكلي والدلالي، واخترت الحافظ ابن حجر وكتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري مجالا تطبيقيا لهذه الدراسة، وقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين، تعرضت في المقدمة إلى جهود علماء اللغة والحديث في دراسة ألفاظ الحديث النبوي، وفي المبحث الأول تناولت الجانب الشكلي لدراسة الألفاظ عند الحافظ ابن حجر، وفي المبحث الثاني تناولت الجانب الدلالي في دراسة الألفاظ عند ابن حجر، ثم جاءت الخاتمة حاوية لأهم النتائج، واتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي، إضافة إلى المنهج التحليلي في بعض الأحيان .

* عضو هيئة تدريس كلية الآداب أوباري – جامعة سبها – ليبيا.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين .

كان رسول– صلى الله عليه وسلم – أفصح الناس لساناً ، وأوضحهم بياناً ، فلم يكن قوله يجاوز مقدار الإبلاغ في المعنى، ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى شرح أقواله خصوصاً في الصدر الأول للإسلام ؛ بالإضافة إلى أن سلائق الناس في ذلك الوقت لم يدخلها اللحن أو الفساد، إلا أن هذا الأمر لم يستمر على ذلك في العصور التالية، فقد فسدت السليقة اللغوية لبعض الناس، كما أنه قد دخل في الإسلام أقوام ليسوا من العرب، وهم في حاجة إلى فهم نصوص الكتاب والسنة؛ ولذلك ظهرت الحاجة إلى شرح وتفسير أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –؛ لتوضيح معانيها وشرح ما غمض من ألفاظها .

في سبيل تحقيق هذه الغاية اتجه بعض العلماء إلى جمع ألفاظ الأحاديث وشرح معانيها، وظهر هذا الجهد في صورة معاجم لغوية، واقتصرت هذه المعاجم على شرح الألفاظ الغريبة، وهي التي عرفت بمعاجم غريب الحديث، ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال كتاب (الفائق في غريب الحديث والأثر) للزمخشري(538هـ)، و(النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير (606هـ)، وطريقة هذه المعاجم تقوم على شرح المفردات الغريبة في الأحاديث النبوية؛ وقد رتب مؤلفو هذه المعاجم المواد اللغوية على ترتيب المعاجم اللغوية الأخرى ، غير أن بعضهم كان يورد نص الحديث ثم يشرح الألفاظ الغريبة بحسب ترتيبها المعجمي، وهذه الطريقة اتبعها الزمخشري في(الفائق) والبعض الآخر كان يورد من الحديث اللفظ المراد شرحه، وهذه الطريقة اتبعها ابن الأثير في

كتابه (النهاية)، وقد أوضح ابن الأثير منهج دراسة ألفاظ الأحاديث النبوية، وأهمية ذلك في شرح نصوص تلك الأحاديث، حيث قسم الدراسة اللغوية للحديث النبوي قسمين : "أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه ؛ ولاشك أن معرفة ألفاظه مقدمة في الرتبة؛ لأنها الأصل في الخطاب؛ وبها يجعل التفاهم فإذا عرفت ترتيب المعاني عليها كان الاهتمام ببيانها أولى، ثم الألفاظ تنقسم إلى: مفردة، ومركبة؛ فمعرفة المفردة مقدمة على معرفة المركبة؛ لأن التركيب فرع عن الإفراد، والألفاظ المفردة تنقسم قسمين : أحدهما خاص، والآخر عام؛ أما العام فهو ما يشترك في معرفته جمهور اللسان العربي سواء أو قريب من السواء، .... وأما الخاص فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية، والكلمات الغريبة الحوشية، التي لا يعرفها إلا من عني بها، وحافظ عليها واستخرجها من مظانها .... فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الألفاظ أهم مما سواه، وأولى بالبيان مما عداه ؛ إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان، لازمة في الإيضاح و العرفان "[1] .

من هنا أدرك شرّاح الأحاديث الأهمية الكبيرة لشرح الألفاظ ، ولذلك دأبوا على شرحها في حالة الإفراد قبل أن يتأملوا الدلالة التي اكتسبتها من خلال السياق، وهم من خلال ذلك يشيرون إلى أن النظر في ألفاظ النص ومفرداته يعد مفتاحاً لفهم النص ومدخلا لتفسيره .

[1]– النهاية في غريب الحديث والأثر ،ابن الأثير،ج1، ص 4.

دراسة الألفاظ عند ابن حجر:

حظيت دراسة ألفاظ الأحاديث النبوية ومفرداتها باهتمام كبير من قبل الحافظ ابن حجر؛ وذلك إدراكا منه لأهمية هذا التحليل في فهم معاني تلك الأحاديت، وأن أي خطأ في فهم معاني الألفاظ أو تقصير في دراستها سيؤدي إلى خطأ في فهم الدلالة الكلية للحديث النبوي ، فالعناية بدراسة الألفاظ في صورتها الإفرادية يساعد على الفهم والتفسير الصحيحين لنصوص الحديث النبوي .

يظهر من خلال الاطلاع على كتاب (فتح البارى) أن منهج ابن حجر في دراسة الألفاظ الحديثية يمكن توضيحه من خلال جانبين:جانب شكلي يتعرض فيه لضبط الألفاظ من حيث الشكل الظاهري، وجانب دلالي يتعرض فيه لدراسة وتحليل الألفاظ من حيث المعنى أو الدلالة .

المبحث الأول: الجانب الشكلي: ضبط الألفاظ:

يكتسي هذا الجانب أهميه كبيرة في تحليل نصوص الأحاديث النبوية، فهو يُعنى بتصحيح وضبط الألفاظ بحيث لا تحتمل إلا وجهاً واحداً ،إذ كثيراً ما تتداخل الألفاظ وتتشابه ، سواء من حيث الشكل الصوتي أم الشكل الظاهري، فيؤدي عدم ضبطها من هاتين الناحيتين إلى حدوث لبس في تحديد اللفظة التي تناسب السياق أو النص، ومن ثم يحدث الخطأ في فهم دلالة النص .

كانت العناية بضبط الألفاظ وتصحيحها أمرا شائعا في الدراسات العربية ، سواء في مجال العلوم اللغوية، أم الشرعية، نظرا لما لهذا الضبط من أهمية في شرح النصوص، في المجال اللغوي، فنجد مثلا كتاب (المثلث المختلف المعنى) للفيروز آبادي(ت817هـ)، ويقصد بالمثلث اللغوي "اللفظ الذي تختلف حركة بنائه فتحاً وكسراً وضماً، أو اللفظ الذي تختلف حركة بنائه على ثلاثة صور مع الاتفاق أو الاختلاف في المعنى"[1] .

من المؤلفات اللغوية التي تناولت ضبط الألفاظ كتاب (إصلاح المنطق)لابن السكيت(ت244هـ)، ومنهجه في ضبط الألفاظ "أن يذكر الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى ،أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى، وما فيه لغتان أو أكثر، وما يُعل وما يصحح، وما يهمز وما لا يهمز ،وما يشدد"[2] .

أما في مجال العلوم الدينية؛ فقد كانت العناية كبيرة بضبط الألفاظ، حفظاً لها من التحريف والتغيير، وكان لعلماء الحديث دور بارز في هذه المجال؛ فإذا

[1] – المثلث المختلف المعنى ،الفيروز آبادي،ص31.

[2] – إصلاح المنطق ،ابن السكيت، ص 12.

كان القرآن الكريم قد ضبط من حيث الشكل والنقط في مرحلة مبكرة، فقد كانت الحاجة شديدة لضبط ألفاظ الأحاديث النبوية، وقد اشترط علماء الحديث في المحدث أن يكون على معرفة بضبط الحديث إسناداً ومتنا[1]؛ فأوجبوا عليه أن يكون على معرفة بما اصطلحوا على تسميته بـ (التصحيف)، أو التحريف ، وأصل لفظ (التصحيف) يرجع إلى القراءة من المصحف؛ ثم عمم في كل قراءة أو سماع؛ فقد قيل في أصل هذه التسمية أن أقواما كانوا يأخذون العلم من الصحف من غير أن يلاقوا العلماء؛ فيقع فيما يروونه تغيير وتبديل[2]، ويقول السيوطي في ذلك: "قال المعري: أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغُيَر عن الصواب "[3]، وقد نشأ مصطلحا التصحيف والتحريف" في أحضان علوم الحديث قبل غيرها من علوم العربية والإسلام؛ لأن علوم الحديث قد وكلت نفسها بالأصل الثاني في التشريع؛ وهذا الأصل تعرض لمراحل كثيرة من النقل والأداء ؛ومن ثم كان وقوع ما يمكن إدراجه تحت هذين المصطلحين أمراً وارداً "[4].

يقع كل من التصحيف والتحريف في سند الحديث –أي أسماء الرجال الذين رووا الحديث ومتنه– أي القول الذي ينتهي إليه السند، وسببه إما القراءة من الصحف، أو السماع؛ حيث تلتبس الألفاظ في أذن السامع[5]، ونجد الحديث عن هذه الظاهرة في الأحاديث النبوية مبثوثاً في كتب علم مصطلح الحديث ؛ويعد

---

[1]– ينظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، زين الدين العراقي، ص282.

[2]– ينظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ،الحافظ ابن كثير ،ص167.

[3] – المزهر في علوم اللغة ،جلال الدين السيوطي ،ج2،ص 353.

[4]– مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي ،شرف الدين الراجحى، ،ص 147.

[5]– ينظر أمثلة على ذلك في "الباعث الحثيث "،ابن كثير ،ص 167.

كتاب (التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه) للحسن بن عبد الله العسكري (ت 385هـ) المؤلف الوحيد الذي خصص لدراسة وتصحيح ما قد يقع من تصحيف في رواية الأحاديث[1] .

أثار مصطلح التصحيف سؤالاً مهما لدى علماء الحديث؛فإذا كان التصحيف والتحريف يؤديان إلى تغيير في نص الحديث ،سواء أكان ذلك من حيث الضبط أم من حيث الإعجام ؛فهل يؤدي ذلك إلى خطأ في النص، أو لحن فيه ،وما هو الموقف من هذا اللحن[2] .

انقسم علماء الحديث في الإجابة على هذا السؤال إلى فريقين :فريق يرى إبقاء النص على ما هو عليه من التصحيف أو التحريف أو اللحن ؛ومن أنصار هذا الرأي "الإمام النسائي" (ت 303هـ) و" الإمام أحمد بن حنبل"(ت 241هـ)، وفريق آخر يرى إصلاح ما حدث في النص من تصحيف أو تحريف ؛ومن هؤلاء "الشعبي" (ت 103هـ) "والأعمش" (ت 149هـ)، و" الأوزاعي" (ت 157هـ)[3] .

وكان لهذا الاهتمام من قبل علماء الحديث بضبط الألفاظ أثر بالغ في منهج الحافظ ابن حجر عند شرحه للأحاديث، فنجده يولي عناية كبيرة بالألفاظ حفظاً لها من التصحيف والتحريف، وكان مدركاً بأن على مفسر النص أو الحديث قبل الخوض في تفسيره وشرحه أن يتحقق من ألفاظه من حيث الصحة والضبط

[1] – ينظر المرجع نفسه ،ص 166.

[2] – ينظر مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي ،شرف الدين الراجحي ،ص 153

[3] – ينظر المرجع نفسه ،ص 153.

اللغويان ، ويظهر أثر هذا الاهتمام في تنوع أساليب الضبط عنده، ويتضح هذا الأمر من خلال الآتي :

أولاً- ضبط الحروف :

ويقصد به ضبط صورة الحرف في الكلمة ؛فقد تحتمل صورته حرفاً آخر ؛فمثلا صورة حرف "ث" تحتمل في الرسم الكتابي حرف "ت" كذلك الحال في صورة الحرف "ص" مع حرف "ض"، ومثله حرف "ع" مع حرف "غ" ؛وغير ذلك من الحروف المتشابهة في الرسم الكتابي، ولا يقتصر هذا التشابه على الرسم فقط، بل يتعدى ذلك إلى الكلمات المتشابهة صوتياً، فحرف "الباء" مثلا يماثل حرف "الميم" من حيث النطق، وذلك لاتحاد مخرجهما، وكذلك حرف "السين "يتماثل صوتيا مع حرف "الصاد"، لاشتراكهما في بعض الصفات،ومثلها حروف "خ ،غ ،ض ،ط ..... الخ ، فعدم تحديد صورة الحرف في الكلمة يؤدي في مثل تلك الحالات إلى حدوث خطأ في تركيبها، الأمر الذي ينتج عنه خطأ في معناها ودلالتها، وقد لا يتلائم هذا المعنى مع سياق النص، مما يؤدي إلى حدوث خطأ في تفسيره .

عنى الحافظ ابن حجر بتصحيح الألفاظ من هذه الناحية، فهو كثيراً ما ينبه إلى وجود خطأ في صورة الحرف، ويقوم بتصحيحه حتى يستقيم مع الكلمة ومن ثم مع السياق، من أمثلة ذلك ما جاء في شرحه لقوله -صلى الله عليه وسلم- **(انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ....)**[1]، قال ابن حجر :" قوله (انتدب الله)هو بالنون؛ أي سارع بثوابه وحسن جزائه،..... ووقع في رواية

[1]- فتح الباري ،ج1، ص 114، حديث رقم (36)

الأصيلى –هنا (ائتدب) بياء تحتانية مهموزة بدل النون، من "المأدبة "، وهو تصحيف، وقد وجهوه بتكلف"[1]، ويمكن هنا ملاحظة الفرق في المعنى بين كلمة (انتدب)، و(ائتدب)،ومدى ملائمة إحداهما لمعنى الحديث .

وقد يذكر ابن حجر الخطأ وإن كان معنى الكلمة صحيحاً وملائما لمعنى الحديث، مثال ذلك شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم– **(مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا .....)**[2]، قال :" قوله (عليهما جُبتان من حديد) كذا في هذه الرواية ،بضم الجيم بعدها موحدة، ومن رواه فيها بالنون(جنتان) فقد صحف، ورواه حنظلة بن أبي سفيان الجمحي عن طاووس بالنون، ورجحت لقوله (من حديد)، و(الجبة) بالموحدة ثوب مخصوص، ولا مانع من إطلاقه على الدرع "[3].

ومن أمثلة إدراك ابن حجر للأثر الذي يحدثه التصحيف في المعنى ما جاء في شرحه الأثر المروى عن ابن عمر، وفيه: **(وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْكُلُ بِالزَّيْتِ حِينَ يَنْفِرُ مِنْ مِنًى مِنْ أَجْلِ لُحُومِ الْهَدْيِ)**[4]، قال ابن حجر :"قوله (حين ينفر من منى) هذا هو الصواب، ووقع في رواية الكشميهني وحده (حتى) بدل (حين)، وهو تصحيف يفسد المعنى فإن المراد أن ابن عمر كان لا يأكل من لحم الأضحية بعد ثلاث، فكان إذا انقضت ثلاث منى ائتدم بالزيت ولا يأكل اللحم، وعلى رواية

---

[1]– المصدر نفسه ،ج1،ص 115.

[2]– المصدر نفسه ،ج3،ص 358،حديث رقم (1448).

[3]– المصدر نفسه ،ج3،ص 359.

[4]– المصدر نفسه ،ج10، ص 27،حديث رقم (5574).

الكشميهني ينعكس الأمر، ويصير المعنى:كان يأكل بالزيت إلى أن ينفر فإذا نفر أكل بغير الزيت، فيدخل فيه لحم الأضحية "[1].

ويلاحظ على منهج ابن حجر أنه قد يصحح كلا المفردتين المتواردتين في الحديث؛ وذلك إما لصحة المعنى ومناسبته للسياق؛ وإما لورود الاستعمال اللغوي به؛ فمن الأول ما جاء في شرحه الأثر المروى عن عطاء وفيه : **(فَبَدَّدَ لِي عَطَاءٌ بَيْنَ أَصَابِعِهِ شَيْئًا مِنْ تَبْدِيدٍ ثُمَّ وَضَعَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ عَلَى قَرْنِ الرَّأْسِ ثُمَّ ضَمَّهَا يُمِرُّهَا كَذَلِكَ عَلَى الرَّأْسِ....)**[2]، قال ابن حجر :" قوله (ثم ضمها) كذا بالضاد والميم ،ولمسلم (وصبها) بالمهملة الموحدة ، صوبه عياض، قال: لأنه يصف عصر الماء من الشعر بيده ،قلت ورواية البخاري موجهة؛ لأن ضم اليد صفة للعاصر"[3]، ومن الثاني ما جاء في شرحه للحديث الذي نصه **(فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ)**[4]، قال ابن حجر:"قوله (سُمرّت أعينهم) بتشديد الميم، وفي رواية أبي رجاء (وسمر)، بتخفيف الميم، ووقع لمسلم من رواية عبد العزيز (وسمل)؛ بالتخفيف واللام؛ قال الخطابي: السمل فقء العين بأي شيء كان... قال: والسمر لغة في السمل؛ ومخرجهما متقارب، قلت: ولا يخالف ذلك رواية السمل، لأنه فقء العين بأي شيء كما مضى"[5].

---

[1]- المصدر نفسه ،ج10 ،ص 32.

[2]- المصدر نفسه،ج2، ص 60،حديث رقم (571).

[3]- المصدر نفسه ،ج2،ص 61.

[4]- المصدر نفسه ،ج1،ص 400.

[5]- المصدر نفسه ،ج1، ص 406.

ثانياً- ضبط الحركات :

ويقصد به ضبط حروف الكلمة بالحركات، وليس المقصود هنا ضبط آخر الكلمة لبيان الموقع الإعرابي، وإنما المقصود ضبط بنية الكلمة، ومنشأ هذا النوع من الضبط هو العلاقة الوثيقة بين حركات الحروف؛ والمعنى الذي تدل عليه، فهذا النوع من الضبط يكتسي أهمية بالغة من حيث تحديد المعني .

كان الحافظ ابن حجر على وعي بأهمية هذا النوع من الضبط، فنصوص كتابه مليئة به، وقد اقتصر عمله في ذلك على ضبط الكلمات التي يختلف معناها باختلاف حركات البنية، وغرضه من ذلك هو تحديد الكلمة المقصودة في النص، وطريقته في هذا الضبط أن يذكر الحرف وحركته بالتنصيص عليها بالقول، ولعل السبب في اتباع هذه الطريقة أن الاكتفاء بوضع الحركات على الكلمة قد يعرضها للتبديل أو التغيير من قبل النساخ، فضبط الكلمة بالنص عليها بالقول يقلل من حدوث ذلك التغيير .

من أمثلة هذا النوع من الضبط ما جاء في شرح ابن حجر للحديث الذي نصه: **(فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي...)**[1]، قال ابن حجر:" قولها (يطعُنني) هو بضم العين ، وكذا في جميع ما هو حسي، وأما المعنوي فيقال (يطَعن) بالفتح "[2]، واختار ابن حجر ضم العين في هذه الكلمة؛ لأنه أليق بسياق الحديث الذي وردت فيه، وهو طعن أبي

[1]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 514 ، حديث رقم (334) .

[2]- المصدر نفسه ،ج1، ص 517.

بكر الصديق –رضي الله عنه– في خاصرة ابنته عائشة –رضي الله عنها– ، وهذا أمر حسي .

ومن أمثلة ضبط الحركات ما جاء في شرحه لأحد الأحاديث وفيه **(وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُصْفَرًّا قَلِيلَ اللَّحْمِ سَبْطَ الشَّعَرِ)**[1]، قال ابن حجر:" قوله (مصفرّا)، بضم أوله وسكون الصاد المهملة، وفتح الفاء، وتشديد الراء، أي قوي الصفرة "[2].

ومن إدراك ابن حجر لدور ضبط الحركات وعلاقته بالمعنى ما جاء في شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم– **(تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً)**[3]، قال: " قوله (تسحروا فإن في السحور بركة)هو بفتح السين وضمها؛ لأن المراد بالبركة الأجر والثواب، ويناسب الضم؛ لأنه مصدر بمعنى التسحر، أو البركة لكونه يقوي على الصوم، وينشط له ،ويخفف المشقة فيه فيناسب الفتح؛ لأنه ما يتسحر به "[4]، ومن هذا _أيضا_ شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم– :**(لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ...)**[5]، قال ابن حجر:" قوله (لا يعدمك) بفتح أوله، وكذلك الدال، من العدم، أي لا يعدمك إحدى الخصلتين؛أي يعدوك؛ تقول ليس يعدمني هذا الأمر، أي ليس يعدوني، وفي رواية أبي ذر بضم أوله وكسر الدال ،من الإعدام؛ أي لا يعدمك صاحب المسك إحدى الخصلتين"[6].

---

[1]– المصدر نفسه ،ج9، ص 365،حديث رقم (5310).

[2]– المصدر نفسه ،ج9، ص 365.

[3]– المصدر نفسه ،ج4، ص 165،حديث رقم (1923).

[4]– المصدر نفسه ،ج4، ص 165،حديث رقم (1923).

[5]– المصدر نفسه ،ج4،ص 379، حديث رقم (2101).

[6]– المصدر نفسه، ج4، ص379.

ثالثاً- الضبط بالميزان الصرفي:

يعد هذا النوع من الضبط وسيلة مهمة لمعرفة أصل الألفاظ ،كما يمكن أن يستخدم لضبط الألفاظ التي تتخذ أشكالاً وصيغاً صرفية واحدة، ووظيفة هذا الضبط هي بيان الأصل الاشتقاقي للألفاظ، وتعتبر هذه الوظيفة ذات أثر مهم في توجيه وتوضيح معنى الكلمة في النص .

عنى الحافظ ابن حجر بهذا النوع من الضبط عند شرحه للأحاديث ،اجتهاداً منه لمعرفة الأصل الاشتقاقي للفظة المراد شرحها في الحديث ،وقد استطاع بواسطة هذا الضبط تقديم التفسير الدلالي للعديد من الألفاظ، إذ إن الكلمات ذات الجذر الاشتقاقي الواحد تشترك في معنى عام يجمعها، وهذه بعض الأمثلة على هذا النوع من الضبط كما تلاحظ من خلال نصوص الكتاب :

1- أوابد :" هو جمع (آبدة) وزن فاعلة؛ يقال: أَبَدَت تأبُدا، إذا توحشت، ويقال جاء فلان بآبدة، إذا جاء بأمر مشكل "[1] .

2- مُتَبَذّلة :"بوزن متفعلة، متعلق بالتشديد، و"للكشميهني " بوزن مفتعلة، أي لابسة بذلة الثياب ،أي غير متزينة "[2] .

3- جَرّاء : " بوزن فعلاء، من الجرأة ؛وهي الإقدام "[3] .

---

[1]- هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص77 .

[2]- المصدر نفسه، ص90 .

[3]- المصدر نفسه ص102.

4- الرَّيّان : بفتح الراء ، وتشديد التحتانية، وزن فعلان، من الري؛ اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه، لأنه مشتق من الري، وهو مناسب لحال الصائمين "[1] .

5- بَريرة: "هي بفتح الموحدة، بوزن فعيلة، مشتقة من البرير، وهو ثمر الأراك وقيل إنها (فعلية) من البِر؛ بمعنى مفعولة كمبرورة، أو بمعنى فاعلة كرحيمة ..... والأول أولى؛ لأنه صلى الله عليه وسلم غير اسم (جويرية) وكان اسمها (برة) وقال: (لا تزكوا أنفسكم)، فلو كانت (بريرة) من (البِرِ) لشاركتها في ذلك "[2].

رابعاً- الضبط بالقياس :

يقصد به قياس الألفاظ على ما يشبهها، سواء كانت المشابهة في الوزن الصرفي دون المعنى، أو كانت المشابهة فيهما معا، بمعنى آخر هو قياس النظير على نظيره، وقد استخدم الحافظ ابن حجر هذا النوع من الضبط زيادة في ضبط ألفاظ الحديث، ولتحديد المجال الذي تنتمي إليه اللفظة من حيث النوع، فوظيفة هذا النوع من الضبط تقريب النطق والمعنى عن طريق الإتيان بالشبيه، وهذه أمثلة على هذا النوع من الضبط :

1- ثقف :"أي فطن، وزناً ومعنى "[3] .
2- جثا :"بوزن (عرا) جمع جاث ،أي بارك على ركبتيه "[4] .

---

[1]- فتح الباري،ج4،ص 134.
[2]- المصدر نفسه ،ج5، ص 223.
[3]- هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 100.
[4]- المصدر نفسه، ص 101.

3- آنقنني:" بفتح النونين وسكون القاف ،بوزن أعجبنني ومعناه... يقال: آنقني الشيء بالمد؛ أي أعجبني "[1] .

4- توآطأت : "بالهمز؛ أي توافقت وزناً ومعنى "[2] .

5- رقى : "بفتح الراء وكسر القاف، " كصعد " وزنا ومعنى ، وذكره ابن التين بفتح القاف بوزن (مضى) وأنكره، قال عياض في (المشارق) هي لغة طيئ يفتحون العين فيما كان من الأفعال معتل اللام " [3].

6- منائح : "بنون مهملة ،جمع منيحة، وهي (كعصية) وزنا ومعنى "[4] .

خامساً- الضبط بالاصطلاح :

يعتمد هذا النوع من الضبط على توضيح معنى الكلمة وتحديد دلالتها باستخدام التعريفات التي وردت لها في معاجم اللغة ؛ وقد اعتمد ابن حجر على هذا النوع من الضبط حيث كان يذكر التعريف الاصطلاحي للألفاظ ، إدراكا منه أن لهذه التعريفات دوراً مهماً في تحليل الحديث النبوي وشرحه، وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا النوع :

1- الساج :"بالجيم ، هو ضرب من الخشب يؤتى به من الهند، والواحدة ساجة، ويجمع على سيجان "[5] .

---

[1]- فتح الباري ،ج4، ص 93.

[2]- فتح الباري ،ج4،ص 302.

[3]- المصدر نفسه ،ج5،ص 51 .

[4]- المصدر نفسه ،ج5،ص 236.

[5]- هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 143.

2- الشؤم :" بالهمز، وهو ما كانوا يتطيرون به، ويقال لكل محذور مشؤوم "[1] .

3- أشاح :"أي انكمش وقبض وجهه"[2] .

4- العبقري :"قال ابن التين: العبقري عتاق الزرابى ، وقال أبو عبيدة : العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء، ويطلق على السيد، واللبيب ، والكبير، والقوي، وقيل هو منسوب إلى عبقر؛ موضع بالبادية يسكنه الجن، فأطلقته العرب على كل ما كان عظيما في نفسه، فائقا جنسه"[3].

5- استلبث الوحي :"أي أبطأ نزوله ،كذا في (المشارق)، وقال في (النهاية): هو مستفعل، من اللبث وهو الإبطاء والتأخير ، ..... وقال شيخنا في القاموس: استلبته استبطأه "[4] .

6- وجاه العدو :" بضم الواو وكسرها،وهو استقبال الشيء بالوجه، وتبدل الواو تاء، فيقال تجاهه "[5] .

---

[1]- المصدر نفسه ،ص 143.

[2]- المصدر نفسه ،ص 149.

[3]- المصدر نفسه ،ص 161.

[4]- المصدر نفسه ، ص 191.

[5]- المصدر نفسه ، ص 25 .

المبحث الثاني: الجانب الدلالي: شرح الألفاظ :

سلك ابن حجر في شرحه لألفاظ الأحاديث النبوية طرقا متعددة ومتنوعة، وكانت غايته من ذلك توضيح وبيان كيفية دلالة هذه الألفاظ على المعنى المفهوم من الحديث ،وكما أولى الحافظ ابن حجر الألفاظ عناية من حيث الضبط، كذلك أولاها عناية من حيث شرح المعنى الإفرادي، وفيما يلي بيان لمنهجه في شرح الألفاظ :

أولاً- ذكر الأصل الدلالي :

اهتم ابن حجر بتأصيل معاني الألفاظ ،تلك المعاني التي تعرضت في مراحل زمنية مختلفة إلى سلسلة من التحولات والتغيرات ، ابتعدت بها عن الوضع الأصلي الأولي ؛ لتحمل دلالات ومعاني جديدة بعضها يتصل بالمعنى الأصلي، والبعض الآخر لا تكاد توجد علاقة بينه وبين المعنى الأصلي، ويبدو أن غرض ابن حجر من تأصيل معاني المفردات هو الاستعانة بالأصل الدلالي لشرح معنى الكلمة في الاستعمال ؛فمعرفة الأصل الدلالي تعتبر وسيلة لإيضاح ما آل إليه معنى الكلمة في الاستعمال الحالي، وفي مجال شرح الأحاديث النبوية فإنه لابد على شارح النص الحديثي أن يوضح استعمال الكلمة والمعنى الذي تشير إليه في زمن ورود النص؛ أي بحسب ما استعملت في العهد النبوي، وقد سار ابن حجر على هذا النهج في كثير من الألفاظ؛ من ذلك قوله في شرح كلمة (سجال) قال: " الحرب سجال، بالكسر ؛ أي مرة كذا ومرة كذا ،مأخوذة من مساجلة المستقين حيث

يدلي هذا سجله مرة وهذا مرة "[1]، وقال في موضع آخر:"سجال ، بكسر أوله، أي نُوب، والسجل الدلو ... فكأنه شبه المتحاربين بالمستقين؛ يستقي هذا دلو وهذا دلو، وأشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر، وغزوة أحد، وقد صرح بذلك أبو سفيان يوم أحد في قوله: يوم بيوم والحرب سجال"[2]، فنلاحظ هنا كيف أن ابن حجر قد ربط بين المعنى الأصلي لكلمة "المساجلة " وبين المعنى الذي استعملت للدلالة عليه ،ومن خلال ذلك الربط تم له شرح معنى الحديث ومن حرص ابن حجر على إيراد المعنى الأصلي ما جاء في شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم– **(الدِّينُ النَّصِيحَةُ)**[3]، قال ابن حجر: "قال المازري :الدين النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته، يقال نصح الشيء إذا خلص، ونصح له القول إذا أخلصه بالنصح، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمنصحة وهي الإبرة؛ والمعنى أنه يَلُم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه "[4] .

ومن ذلك أيضا ما جاء في شرحه لقول أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –(**مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...**)[5]، قال ابن حجر :"قوله مزمارة الشيطان ،بكسر الميم ،يعني الغناء أو الدف؛ لأن المزمارة أو المزمار مشتق من الزمير، وهو الصوت الذي له صفير، ويطلق

---

[1]– هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 136 .

[2]– فتح الباري ، ج1 ص 47.

[3]– المصدر السابق،ج1،ص 166،حديث رقم (42).

[4]– المصدر نفسه،ج1،ص 167.

[5]– المصدر نفسه ،ج2،ص 510،حديث رقم (949).

على الصوت الحسن وعلى الغناء، وسميت به الآلة المعروفة الذي يزّمر بها "[1]، فقد فسر ابن حجر معنى كلمة (مزمارة) بالمعنى الذي استقرت عليه في الاستعمال اللغوي وقت ورود النص، وعلى ضوء ذلك كان معنى كلمة (مزمارة) هو الغناء .

ومن ربطه المعنى المستحدث بالمعنى الأصلي ما جاء في شرحه لحديث أنس بن مالك –رضي الله عنه –وفيه :(**دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ...)**[2]، قال ابن حجر :" قوله (ظئراً) بكسر المعجمة وسكون التحتانية المهموزة بعدها راء؛ أي مرضعا ،وأطلق عليه ذلك؛ لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق على زوجها، لأنه يشاركها في تربيته غالباً "[3]، وهنا نلاحظ العلاقة الوثيقة في المعنى بين الدلالة الأصلية والدلالة المستحدثة .

كانت تلك بعض الأمثلة على منهج الحافظ ابن حجر في شرح الألفاظ واستقصاء معانيها الأصلية،ومنها نلاحظ أنه كان يحاول الربط بين المعنى الأصلي للألفاظ، والمعنى المستحدث الذي اكتسبته مع مرور الزمن، وفي هذا إشارة منه لظاهرة التطور الدلالي للألفاظ، ويزداد هذا الأمر وضوحاً في

[1]– المصدر نفسه ،ج2،ص 512.

[2]– المصدر نفسه ،ج3، ص 206، حديث رقم (1303).

[3]– المصدر نفسه ،ج3،ص 207.

تحليل ابن حجر عند تعرضه لبعض مظاهر التطور الدلالي؛ مثل ظاهرتي تعميم الدلالة أو تخصيصها .

فمن تعميم الدلالة ما جاء في شرحه لمعنى كلمة (الصلصلة)، قال :"والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة ، وفي الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ،ثم أطلق على كل صوت له طنين "[1] .

ومن ذلك أيضا ما جاء في شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم –(**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ...**)[2]، قال ابن حجر: "قوله غُراً ، بضم المعجمة وتشديد الراء جمع (أغر) أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال، والشهرة ،وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد– صلى الله عليه وسلم –"[3] .

ومن إشارته إلى تخصيص الدلالة ما جاء في شرحه لمعنى كلمة (أجل) قال: "والأجل بفتحتين أيضا الغاية من كل شيء، ويطلق على العمر"[4]، ومن ذلك أيضا قوله في شرح معنى كلمة (دابة) "المراد بها في اللغة كل ما مشى على الأرض، وفي العرف ما يركب، وبعض أهل العرف خصها بالحمار"[5] .

---

[1]– فتح الباري ،ج1، ص27.

[2]– المصدر نفسه ،ج2، ص 283،حديث رقم (136).

[3]– المصدر نفسه ،ج1،ص 284.

[4]– هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 80.

[5]– فتح الباري ،ج2، ص 217.

ثانيا- تتبع أسباب التسميات :

ويعني أن الحافظ ابن حجر كان عند شرحه لبعض الأسماء يذكر السبب الذي من أجله عرف ذلك الشيء بذلك الاسم، ومنهجه في ذلك أن يذكر الاسم ثم يعقبه بذكر سبب التسمية .

من ذلك ما جاء في شرحه لحديث ابن عباس وفيه: **(فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ تُلْقِي الْمَرْأَةُ خُرْصَهَا وَسِخَابَهَا)**[1]، قال ابن حجر: "وقوله سخابها بكسر المهملة ثم المعجمة ،ثم الموحدة؛ هو قلادة من عنبر أو قرنفل أو غيره، ولا يكون فيه خرز ،وقيل هو خيط فيه خرز، وسمي سخابا لصوت خرزه عند الحركة، مأخوذة من السخب وهو اختلاف الأصوات"[2] .

ومن تتبع أصل التسمية أيضا ما جاء في شرحه لمعنى كلمة (التروية)؛ قال :"وسمى التروية بفتح المثناة وسكون الراء وكسر الواو وتخفيف التحتانية؛ لأنهم كانوا يروون فيها إبلهم ،ويتزودون من الماء، لأن تلك الأماكن لم تكن إذ ذاك فيها آبار ولا عيون"[3] .

وربما ذكر ابن حجر أكثر من سبب للتسمية ،كما في شرحه لكلمتي (جمع) و(مزدلفة)؛ قال:" وسميت (جمعاً) لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها؛ أي دنا منها،لاوروى قتادة أنها سميت جمعا لأنها يجمع فيها بين الصلاتين، وقيل وصفت بفعل أهلها لأنهم يجتمعون بها ويزدلفون إلى الله، أي يتقربون إليه بالوقوف فيها، وسميت (مزدلفة) إما لاجتماع الناس بها، أو لاقترابهم إلى منى،

---

[1]- المصدر نفسه ،ج2،ص 525،حديث رقم (949).

[2]- المصدر نفسه ،ج3،ص 592.

[3]- المصدر نفسه ،ج3، ص 592.

أو لازدلاف الناس منها جميعا ،أو للنزول بها في كل زلفة من الليل، أو لأنها منزلة وقربة إلى الله أو لازدلاف آدم إلى حواء بها "[1]

ومن ذكره لأكثر من سبب للتسمية أيضا قوله في شرح معنى كلمة (مفلس): "وسمي (مفلسا) لأنه صار ذا فلوس بعد أن كان ذا دراهم ودنانير، إشارة إلى أنه صار لا يملك إلا أدنى الأموال وهي الفلوس، أو سمي بذلك لأنه يُمنع من التصرف إلا في الشيء التافه كالفلوس، لأنهم ما كانوا يتعاملون بها إلا في الأشياء الحقيرة، أو لأنه صار إلى حالة لا يملك فيها فلساً "[2] .

ولعل غرض ابن حجر من بيان التسمية هو تقريب معنى الكلمة وترسيخه في الأذهان عن طريق ربط التسمية بسببها، وبالأخص إذا كان معنى الكلمة مرتبطاً بالحدث الذي يكون فيه،كما لاحظنا ذلك في كلمتي "التروية "و"المزدلفة".

ثالثاً- ذكر معنى اللفظة ،والتعقيب عليه :

وذلك بأن يبين معنى الكلمة الواردة في الحديث ،ثم يعقب عليه بما يراه مناسبا لشرح المعنى ،أو لزيادة تدقيق في دلالتها ومن ذلك ما جاء في شرحه قول مجاهد : (تمخر السفن الريح)[3]، قال ابن حجر :"تمخر بفتح المعجمة ؛أي تشق؛ يقال مخرت السفينة ،إذا شقت الماء بصوت ،وقيل المخر الصوت نفسه ،وكأن (مجاهدا) أراد أن شق السفينة للبحر بصوت إنما هو بواسطة الرياح "[4] ، ومن ذلك أيضا ما جاء في شرحه الأثر الذي

---

[1]- المصدر نفسه ،ج3،ص 611.

[2]- المصدر نفسه ،ج5، ص 76.

[3]- المصدر السابق ، ج4 ، ص 350 ، حديث رقم (10).

[4]- المصدر نفسه ،ج4 ، ص 351 .

رواه (نافع) عن ابن عمر، وفيه : **(فكان ابن عمر–رضي الله عنهما – يعطي التمر، فأعوز أهل المدينة من التمر فأعطى شعيراً)**[1]، قال ابن حجر في شرح معنى كلمة (أعوز): "قوله(أعوز) بالمهملة والزاى؛ أي احتاج ؛يقال أعوزني الشيء إذا احتجت إليه فلم أقدر عليه"[2] .

ومنه ما جاء في حديث ابن عباس عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، وفيه : **(فَلَمْ يَنْهَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الْأَرْدِيَةِ وَالْأُزُرِ تُلْبَسُ إِلَّا الْمُزَعْفَرَةَ الَّتِي تَرْدَعُ عَلَى الْجِلْدِ....)**[3]، قال ابن حجر في شرحه معنى كلمة (ردع: قوله (التي تردع) بالمهملة؛ أي تلطخ ؛يقال ردع إذ التطخ، وردع به الطيب إذا لزق بجلده"[4].

ومن التعقيب على المعنى ما جاء في شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم –(مثل المنافق كالأرزة،لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة "[5]، قال ابن حجر في شرح معنى كلمة (انجعافها): "قوله "انجعافها" بجيم ومهملة ثم فاء؛ أي انقلاعها، تقول جعفته فانجعف، مثل قلعته فانقلع ،ونقل ابن التين عن الداوودي أن معناه انكسارها من وسطها، أو أسفلها "[6] .

يتضح من خلال ما سبق ذكره مدى عناية ابن حجر بشرح معاني الألفاظ الواردة في الحديث النبوي، وتحديد دلالتها، وهو في سبيل ذلك لا يكتفي بذكر معنى الكلمة؛ وإنما يشفعه بتفصيل المعنى والتدقيق فيه، وهدفه

[1]– المصدر نفسه ،ج3 ، ص 439 ، حديث رقم (1511).
[2]– المصدر نفسه ،ج3، ص 440.
[3]– المصدر نفسه ،ج3،ص 473،حديث رقم (1545).
[4]– المصدر نفسه ،ج3،ص 475.
[5]– المصدر نفسه ،ج10،ص 107،حديث رقم (5643).
[6]– المصدر نفسه، ج 10 ، ص 11 .

من ذلك هو أن يزيل عن الكلمة ما قد يلتبس بها من معان غير مقصودة قد تتبادر من خلال النص .

رابعاً- بيان الوجوه المتعددة لمعاني الألفاظ :

من الظواهر التي يمكن ملاحظتها في دراسة الألفاظ عند ابن حجر أنه عند تناوله لبعضها يذكر المعاني المتعددة للفظة الواحدة، وغايته من ذلك هي استقصاء المعاني التي يحتملها ذلك اللفظ، ومن ثم محاولة تحديد المعنى الذي يوضح النص وينسجم مع دلالته، مستعينا في ذلك بأقوال أهل اللغة من أصحاب المعاجم وغيرهم .

وقال ابن حجر عند شرحه لمعنى كلمة (الذكر) :"ولفظ الذكر يطلق على ضد النسيان، وعلى القرآن والوحي، والخير، والطاعة، والشرف، والخير واللوح المحفوظ، وكل كتاب منزل من الله تعالى، والنطق، والتسبيح، والتفكير بالقلب، والصلاة الواحدة ،ومطلق الصلاة، والتوبة، والغيب، والخطبة، والدعاء والثناء، والصيت، والشكر، والقراءة "[1]، ومن ذلك شرحه لكلمة (فجاجا) ؛ قال: "قال يحي الفراء في (المعاني) في سورة نوح: قوله فجاجا، واحدها (فج)؛ وهي الطرق الواسعة ، واعترضه الإسماعيلي فقال: يقال (الفج) الطريق بين الجبلين؛ فإذا لم يكن كذلك لم يسم الطريق فجا، كذا قال، وهو قول بعض أهل اللغة، وجزم أبو عبيد ثم الأزهري بأن الفج الطريق الواسع ، وقد نقل صاحب المحكم أن الفج الطريق الواسع في جبل أو في مثل جبل وهو أوسع من الشعب"[2] .

---

[1]- هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 125.

[2]- المصدر نفسه ، ص 444 .

خامساً- الاستدلال بالشواهد على معاني الألفاظ :

يقصد بالشواهد ما يستدل به القائل على صحة قوله؛ سواء كان ما يستدل عليه يتعلق بصحة معنى، أم بتقرير قاعدة لغوية، أم بإثبات وتوثيق الألفاظ، والشواهد المعتد بها لدى اللغويين هي القرآن الكريم، والحديث النبوي ،وكلام العرب من شعر ونثر .

اهتم ابن حجر بذكر الشواهد للاستدلال بها على صحة المعنى أو الاستعمال، وقد تنوعت هذه الشواهد لتشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، كما اختلفت أغراض الاستشهاد عنده ؛فمن هذه الأغراض الاستدلال على صحة المعنى، وتزداد أهمية هذا الاستدلال إذا كان يتعلق بترجيح أحد معاني الألفاظ لموائمتها معنى الحديث ؛قال في شرحه لمعنى كلمة (جَور) التي وردت في حديث ابن عمر، قال : **(لما فُتح هذان المصران أتوا عمرا فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حد لأهل نجد قرنا وهو جور عن طريقنا)**[1]، قال ابن حجر :"قوله (جور) بفتح الجيم وسكون الواو،بعدها راء؛ أي ميل، والجور الميل عن القصد، ومنه قوله تعالى: **(وَمِنْهَا جَائِرٌ)**"[2] .

ومن استدلاله على صحة المعنى قوله في شرح معنى (السمل): السمل فقء العين بأي شيء كان، قال أبو ذؤيب الهذلي :

---

[1]- فتح الباري ، ج3 ، ص 455 ، حديث رقم (1531) .

[2]- المصدر نفسه ،ج3، ص 455.

والعين بعدهم كأن حداقها * سُملت بشوك فهي عوراء تدمع"[1]

.

ومن أغراض الاستشهاد عند ابن حجر توثيق الألفاظ من حيث الاستعمال، قال في شرحه لقوله –صلى الله عليه وسلم –(**لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ**) [2]:" قوله لاتُصَروا بضم أوله وفتح ثانيه بوزن تزكو ، يقال صَرَّي يُصَرِّي تَصْرِيَة ،كزَكَى يُزَكِى تَزْكَيَةً، وقيده بعضهم بفتح أوله وضم ثانيه الأول أصح لأنه من صريت اللبن في الضرع إذا جمعته، وليس من صررت الشيء إذا ربطته، إذ لو كان منه لقيل مصرورة أو مصررة، ولم يقل مصراة ،على أنه قد سمع الأمران في كلام العرب؛ قال الأغلب :

رأت غلاما قد صَري فقرته * ماء الشباب عنفوان سيرته

وقال مالك بن نويرة :

فقلت لقومي هذه صدقاتكم * مصررة أخلافها لم تحرر"[3]

ومن ذلك أيضا ما جاء في شرحه لمعنى كلمة (عزب)، قال: "عزب بفتح الزاي أي لا زوج له،ومنه اشتدت علينا العزبة ،ورجل عزب وأعزب بمعنى، ويقال للمرأة أيضا عزب، قال الشاعر:

يا من يدل عزبا على عزب "[4] .

---

[1]– المصدر نفسه ،ج1 ، ص 406.

[2]– المصدر نفسه ، ج4 ، ص222 ، حديث رقم (2148) .

[3]– المصدر نفسه ،ج4، ص 424.

[4]– هدى الساري مقدمة فتح الباري ،ص 164.

وقد يأتي بالشواهد للدلالة على تعدد معنى اللفظة؛ كما في شرحه لمعنى كلمة "﴿قَضَى﴾، قال: "ويأتي القضاء على وجوه؛ منها الأمر، والحكم، والخلق، ومنه ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، أي خلقهن ويأتي القضاء بمعنى الأجر والوفاء، ومنه قضى دينه، وبمعنى صنع، ومنه ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾والفراغ، ومنه فلما قضى صلاته، وبمعنى الإتمام ومنه﴿قَضَى أَجَلاً﴾ والقتل ومنه﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيهِ﴾ وبمعنى الإحصاء والتقدير، وبمعنى الإعلام، ومنه ﴿وَقَضَيْنَا إِلى بَنِى إِسْرَآئِيلَ﴾[1] .

وأحيانا يأتي بالشاهد للدلالة على الأصل الدلالي للفظة ،كقوله في شرح حديث أم سلمة :(**أن النبي –صلى الله عليه وسلم – رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة....**)[2]، قال ابن حجر في شرح معنى كلمة (سفعة) :" تطلق السفعة على العلامة،ومنه بوجهها سفعة غضب ؛ وهو راجع إلى تغير اللون، وأصل السفع الأخذ والقهر، ومنه قوله تعالى :﴿ لَنَسْفَعَنَا بَالنَّاصِيَةِ﴾"[3]، وكما في شرحه لمعنى كلمة (حبر) قال: " قوله حبر العرب ؛بفتح أوله وكسره ؛ أي عالمهم ، وقوله كعب الأخبار، أي العالم، سمي بذلك الذي للحبر الذي يكتب به، وقال الشاعر:

والعالم المدعو حبراً إنما * سماه باسم الحبر حمل المحبر"[4].

---

[1]– المصدر نفسه ،ص 183.

[2]– فتح الباري ،ج10، ص210 حديث رقم (5739).

[3]– المصدر نفسه ،ج10، ص 212.

[4]– هدى الساري مقدمة فتح الباري،ص 106.

نتائج البحث:

يتبين من خلال المبحث الأول أن الحافظ ابن حجر استخدم طرقا متنوعة لضبط ألفاظ الحديث النبوي؛ سواء كان هذا الضبط يتعلق بالشكل الخارجي للألفاظ،أم يتعلق بالمعنى، وجميع هذه الأشكال لضبط الألفاظ تدخل فيما يمكن تسميته بـ " التحقق من النص "، وهو أمر يأتي في مقدمة الأمور التي حرص عليها علماء الحديث عامة، سواء كانوا نقلة نصوص ، أم شرّاحها، ومن خلال هذا المبحث يمكن استخلاص الآتي:

1- الغاية من ضبط الألفاظ عند ابن حجر هي تحقيق الآتي :

أ- تحديد اللفظة المقصودة في نص الحديث النبوي .

ب- التنبيه على وجود نطقين ، أو صورتين ، أو أكثر لبعض الألفاظ .

ج- التنبيه على اختلاف المعاني باختلاف الحركات أو الحروف، بحيث يجب على الشارح أن يحدد اللفظة التي تلائم نص الحديث من حيث المعنى .

2- إدراك ابن حجر أن لكل حرف وظيفة في أداء المعنى؛ فكل حرف يؤدي وظيفة غير التي يؤديها الحرف الآخر، وأن استبدال حرف بآخر في اللفظة الواحدة يؤدي إلى تغيير في معناها، الأمر الذي ينتج عنه تغيير في دلالة النص عامة .

3- كما يتضح من خلال المبحث الثاني مدى اهتمام ابن حجر بشرح وتحليل الألفاظ والمفردات اللغوية، بحيث إنه سلك في شرحه ذاك طرقاً متنوعة ، تناولت الألفاظ من جوانب مختلفة ، ومن خلال هذا التنوع أمكنه أن يقدم تحليلاً لغوياً استطاع به أن يلج لتحليل نص الحديث، فدراسة وتحليل ألفاظ أي نص تعد من أهم الوسائل المعينة على شرح المعنى العام له، وقد كان ابن حجر على وعي بهذا المنهج في التحليل ،لذلك نجده يقدم في بداية شرحه للحديث توضيحاً لدلالة الألفاظ قبل أن يدخل في تحليل نص الحديث النبوي ،وهو في ذات الوقت كان مدركا أن تحليل الألفاظ وشرحها في صورتها الإفرادية لا يعد كافيا لشرح نص الحديث، وإنما لابد من استخدام وسائل أخرى إذا أريد الوصول إلى شرح معنى الحديث عامة وتوضيح دلالته.

مصادر البحث:

1. إصلاح المنطق ،ابن السكيت، تح. أحمد محمد شاكر ،دار المعارف،القاهرة ،ط2، 1956.

2. الباعث الحثيث اختصار علوم الحديث ،الحافظ ابن كثير ،تح. أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت .

3. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، زين الدين العراقي، دار الفكر، بيروت،لا ط ،1981.

4. فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه محب الدين الخطيب، دار الريان التراث، القاهرة، ط1، .1986

5. المثلث المختلف المعنى ،الفيروز آبادي، تح.عبد الجليل مغتاظ عودة التميمي ،منشورات جامعة سبها ،د.ط، 1988 .

6. مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي ،شرف الدين الراجحى، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 ، 1983 .

7. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح. عي محمد البجاوي؛ محمد أحمد جادة المولى؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحرم للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ك.ط، د.ت .

8. النهاية في غريب الحديث والأثر ،ابن الأثير، تح. طاهر أحمد الزاوي، محمود أحمد الطناحي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ط، د.ت .

9. هدى الساري مقدمة فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه محب الدين الخطيب، دار الريان التراث، القاهرة، ط1، 1986.